نشأة الفقه المالكي في شمال إفريقيا
(مدرسة القيروان وأهم مصنفاتها وعلمائها)

محمود حسين الشريف

الهيئة الليبية للبحث العلمي

الملخص:

تعتبر مدرسة القيروان من أهم المدارس التي خدم علماؤها المذهب المالكي، فموقعها الجغرافي موقع استراتيجي ساعد في ازدهار ورقي هذه المدرسة، فمدينة القيروان ممر عبور بين المغرب والمشرق يقصدها طلاب العلم من كل بقاع الأرض، فكثير من العلماء ممن سمع بالإمام مالك وعلمه وزهده رحلوا من القيروان إلى المدينة النبوية طلبًا للعلم والتتلمذ عليه ثم بعد ذلك رجعوا إلى القيروان بالعلم الغزير، وكانت القيروان سببًا في انتشار المذهب المالكي في إفريقيا وبلاد الأندلس، رغم أنها تعرضت للكثير من العراقيل السياسية في عهد الأغالبة والعبيديين، فحورب المذهب المالكي وطمست معالمه بإيذاء فقهائه وحرق المصنفات.

Abstract:

The Kairouan School stands as one of the foremost intellectual centers whose scholars profoundly shaped and advanced the Maliki School of Islamic jurisprudence. Its strategic geographic position rendered it a pivotal hub for scholarly exchange and the transmission of knowledge between the Maghreb and the Mashriq. The city of Kairouan served as a vibrant meeting point for seekers of knowledge from across the Islamic world. Many of its scholars, upon hearing of Imam Malik's erudition, asceticism, and authority in jurisprudence, journeyed from Kairouan to al-Madinah al-Munawwarah to study under him directly. They later returned to Kairouan bearing the intellectual legacy and methodological rigor of the Maliki tradition.

Through these scholarly efforts, Kairouan became the primary conduit for the dissemination of Maliki jurisprudence throughout North Africa and al-Andalus. Nevertheless, the school endured considerable political adversity during the Aghlabid and Fatimid eras, when the Maliki doctrine faced systematic suppression—its jurists persecuted and its scholarly works burned or effaced. Despite such trials, the Kairouan School remained a beacon of Maliki thought and a cornerstone of Islamic legal scholarship in the western Islamic world.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

وبعد،،

فإنّ الشريعة الإسلامية تهدف إلى تزكية النفس وتطهيرها وحفظها وحفظ الدين والعقل والنسل والمال، والتشريع الإسلامي يمثل الناحية العملية من رسالة الإسلام، ومصدره وحي الله لنبيه –صلى الله عليه وسلم– من كتابٍ وسنةٍ بفهم سلف الأمة الذين هم أقرب الناس إلى عصر النبوة.

فالفقه الإسلامي من أهم الأبواب التي اهتم بها سلف هذه الأمة ومن بعدهم من ناحية التأليف ونشر العلم كابرا عن كابر من الصحابة إلى التابعين إلى تابعيهم إلى عصر الأئمة المجتهدين أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل، وقد سخر الله للفقه المالكي رجالا حملوا لواء العلم ونشروا فقه إمامهم في المشرق والمغرب، ومن البلاد التي نشر فيها الفقه المالكي المغرب العربي وأخص بالذكر منه مدينة القيروان العامرة، التي كانت مشعلا من مشاعل العلم أضاءت ما حولها من مدن، وقد درست في السنة التمهيدية للدكتوراه مادة **(مصنفات في الفقه المالكي)**، وكان من ضمن عناصر هذه المادة مدارس الفقه المالكي، فوقع اختياري على مدرسة القيروان، فرأيت أن أكتب فيها بحثا واخترت له عنوانًا: **نشأة الفقه المالكي في شمال إفريقيا (مدرسة القيروان وأهم مصنفاتها وعلمائها).**

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في النقاط التالية:

1- التعرف على مدرسة القيروان ومن كان له الفضل في تأسيسها ونشر العلم بها.

2- معرفة أهم المصنفات التي صنفت في هذه المدرسة والتي كان لها دور كبير في نشر الفقه المالكي في البقاع المجاورة.

3- معرفة طبقات علماء المذهب بالقيروان من أصحاب مالك وتلاميذه إلى طلابهم والمتأخرين عنه.

إشكالية البحث:

يجيب البحث على بعض التساؤلات منها:

متى انتشر المذهب المالكي في القيروان؟ وكيف انتشر؟ ومن كان سببا في انتشاره؟ ومن أهم علمائه؟ وما هي الظروف التي مرت بهذه المدرسة؟ وما هي أهم مصنفات صُنِّفت في هذه المدرسة؟ وهل لاقت هذه المصنفات قبولا لدى طلبة العلم الشرعي والفقهاء؟وما هي أهم اهتمامات العلماء بهذه المصنفات؟ وهل تم شرحها واختصارها؟.

الدراسات السابقة:

يوجد كتاب بعنوان: مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري، تأليف: الحسين بن محمد شواط، يتحدث عن علماء الحديث ومؤلفاتهم، وقد نشر في السعودية سنة 1411 هـ / 1990 م.

فهذا البحث تكلم عن علماء ومصنفات الحديث في مدرسة القيروان، فلم يتكلم عن علماء الفقه المالكي ولا مصنفاته.

ويوجد بحث منشور في مجلة جامع الكتب الإسلامية بعنوان المدرسة المالكية بإفريقية في عهد سيادة القيروان، محمد بن الهادي أبو الأجفان، تحدث عن الاجتهاد الفقهي في مدرسة القيروان ونشأتها ومصنفاتها، فتحدث هذا البحث عن الاجتهاد الفقهي في مدرسة القيروان، ولم يتوسع في المصنفات وشروحها واختصاراتها.

ويأتي هذا البحث بيانا لنشأة مدرسة القيروان، والعراقيل التي واجهتها، وأهم علمائها ومصنفاتها، فقد ذُكر في هذا البحث الكتب التي اهتم بها طلاب العلم

والعلماء اختصارا وشرحا، منها: المدونة وأهم مختصراتها، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني وأهم شروحها.

أسباب اختيار الموضوع:

وقع اختيار الباحث على هذا الموضوع للأسباب التالية:

1- لأهمية مدرسة القيروان ومكانتها العلمية بين مدارس الفقه المالكي الأخرى.

2- كثرة التصانيف التي انبثقت من هذه المدرسة والتي كان لها دور فعّال في نشر الفقه المالكي.

أهداف الدراسة:

1- التعريف بكثير من العلماء الذين كان لهم دور مهم في نشر الفقه المالكي في المغرب الإسلامي.

2- التعريف بدور مدرسة القيروان في التأليف والتدوين وأهمية موقعها الجغرافي.

3- بيان الآثار المترتبة على هذه المدرسة من مصنفات وطلاب علم وعلماء.

المنهج المتبع:

اتبع الباحث في كتابة هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي المتمثل في نقل النصوص وتحليلها.

حدود الدراسة:

علماء ومؤلفات المذهب المالكي من القرن الثاني الهجري إلى القرن الثامن الهجري.

خطة الدراسة:

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة ومبحثين، ذكرت في المبحث الأول نشأة مدرسة القيروان وأهم علمائها، وتكلمت في المبحث الثاني عن أبرز مصنفات الفقه بمدرسة القيروان، وختمت بخاتمة ذكرت فيها النتائج المترتبة عن البحث.

المبحث الأول: نشأة مدرسة القيروان وأهم علمائها.

المطلب الأول: نشأة مدرسة القيروان وتطورها.

- نشأة مدرسة القيروان:

انتشر المذهب المالكي في إفريقية، وذلك في القرن الثاني الهجري، وقد حمله مجموعة من أنبل تلاميذ الإمام مالك وأنشطهم وأذكاهم، خرجوا منها وعادوا إليها وهم يحملون علم شيخهم وفقهه، وقد ربا عددهم على الثلاثين، فالقيروان كانت منارة العلم في العدوة الغربية من العالم الإسلامي، فلم تكن مُحْتَكَّة بالحضارات السابقة المتباينة، ولم يستطع أن يثبت فيها على النطاق العام إلا المذهب المالكي بقيام أساطين المذهب على غرسه وتعهده ونموه، وأما الشيعة فقد ارتبطت بالسلطة الحاكمة فعفا أثرها بانتهاء القوة الحاكمة[1]، وقد كان أبرز هؤلاء أثرا علي بن زياد والبهلول بن راشد وعبد الرحيم بن أشرس وعبد الله بن غانم الذين كانوا حجر الأساس في إرساء قواعد فقه إمام دار الهجرة بالقيروان ونواة الشجرة التي تولدت عنها جنة باسقة، لم يزل الدين والعلم والفكر يتفيأ ظلالها الوارفة إلى اليوم[2].

كما تجلّت عبقريته أيضا في تلميذي علي بن زياد اللذين تخرجا على عينيه **وهما الإمامان:** أسد بن الفرات الذي كان له أكبر الأثر في تدوين فقه هذه المدرسة من خلال كتابه المعروف بالأسدية نسبة إليه، والإمام سحنون الذي استطاع هو الآخر أن يربط تلك الفروع بأصولها في مدونته، نية إحاطته بأصول إمامه تلك الإحاطة إلي ورثها عن شيخه علي بن زياد ونماها وصقلها على شيخه الآخر ابن القاسم[3].

---

1 ينظر: شرح التلقين، أبو عبد الله محمد التَّمِيمي المازري (ت:536هـ)، تحقيق: محمَّد المختار السّلامي (دار الغرب الإسلامي، طبعة: أولى، 2008م). 1/ 84.

2 المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته، محمد المختار محمد المامي (مركز زايد للتراث، العين: الإمارات العربية، ط: أولى، 1422هـ/2002م) ص95.

3 المذهب المالكي مدارسه، محمد المختار محمد المامي، ص96.

وتعتبر هذه المدرسة نتاجا لمدارس المالكية الثلاثة (المدنية والمصرية والعراقية)، حيث جمعت مميزات تلك المدارس، وذلك بتظافر جهود أئمتها، بدءا من علي بن زياد الذي كان يتبنى الفقه التنظيري الفرضي، وأسد بن الفرات الذي أخذ عنه تلك الفكرة ونماها بدراسته في مدرسة الرأي بالعراق، التي أثمرت فرضيات الأسدية، ومروراً بسحنون الـذي ربط فقه الأسدية بالأثـر على طريـق أهـل المدينة، دون أن يهمل ما عليه العمل، وابن أبي زيد وابن عبد البر اللذين عمقا ذلكم المفهوم بجمعهما ما تناثر في أمهات دواوين فقه مدارس المالكية، وانتهاء بالقرافي وغيره ممن اعتنى بجمع فكر مدارس فقه المالكية المختلفة والترجيح بين آرائها دون تعصيب[1].

واستقر المذهب بعد ذلك وشاع في تلك الربوع إلى وقتنا هذا، وهؤلاء وإن كانوا كلهم عملوا على نشر المذهب إلا أن علي بن زياد كان أسبقهم وأكثرهم تأثيرا، وكان الفضل يعود إليه بالدرجة الأولى في اتساع المذهب المالكي واستقراره في تونس والقيروان. وفي عهد الدولة الأغالبية مال أمراؤها إلى الأخذ بمذهب الأحناف وآثروهم بالقضاء والرياسة، ومن بعدهم العبيديون، ولما رحل بنو عبيد إلى مصر ولم يزل ملوك صنهاجة يَدعون لهم بإفريقية ويذكرون أسماءهم على المنابر وتمادى الأمر على ذلك حتى قطع أهل القيروان صلاة الجمعة فراراً من دعوتهم وتبديعاً لإقامتها بأسمائهم فكان بعضهم إذا بلغ إلى المسجد قال سراً اللهم أشهد ثم ينصرف يصلي ظهراً أربعاً إلى أن تناهى الحال حتى لم يحضر الجمعة من أهل القيروان أحد فتعطلت الجمعة دهراً وأقام ذلك مدة[2] حتى جاء المعز بن باديس[1] سنة (407هـ)، فحمل الناس

1 ينظر المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته، محمد المختار محمد المامي، ص 113، 114.

2 ينظر معلمة الفقه المالكي، عبد العزيز بن عبدالله (دار الغرب الإسلامي، بيروت: لبنان، طبعة: أولى، 1403 هـ - 1983 م) ص 197.

من جديد على المذهب المالكي قاضيا بذلك على الخلاف الذي كان محتدما بين المذاهب، ومن المؤكد أنه ما اختاره إلا لعلمه أنه أكثر المذاهب انتشارا وقَبولا بين أهل تلك البلاد[2].

المطلب الثاني: أبرز علماء مدرسة القيروان

أولاً: طبقة أصحاب مالك.

1- علي بن زياد:

هو علي بن زياد أبو الحسن التونسي العبسي، قَالَ أَبُو الْعَرَبِ: سئل شُرَحْبِيلَ، قَاضِي طَرَابُلُسَ عَنْ أَصْلِ عَلِيِّ بْنِ زِيَادٍ، فَقَالَ: كَشَفْنَا عَنْ أَصْلِهِ فَإِذَا هُوَ مِنَ الْعَجَمِ، وَكَانَ أَوَّلُهُ مِنْ طَرَابُلُسَ ثُمَّ سَكَنَ مَدِينَةَ تُونُسَ. سَمِعَ مِنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وَاللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ وَابْنِ لَهِيعَةَ، وَغَيْرِهِمْ[3]، سَمِعَ مِنْهُ الْبُهْلُولُ بْنُ رَاشِـدٍ، وَسُحْنُونٌ، وَشَجَرَةُ بْنُ عِيسَى، وَأَسَدُ بْنُ الْفُرَاتِ، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ زِيَادٍ خَيْرَ أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةَ فِي الضَّبْطِ لِلْعِلْمِ. سمع من مالك الموطأ وتفقه عليه، وكتب سماعه من مالك. وهو أول من أدخل الموطأ وجامع سفيان إلى المغرب، وفسر لهم قول مالك ولم يكونوا يعرفونه[4]، وله

---

1 المعز بن باديس بن منصور بن بلكين بن زيري ابن مناد الحميري، الصنهاجي، المغربي، شرف الدولة ابن أمير المغرب. نفذ إليه الحاكم من مصر التقليد في سنة 407 هـ، وعلا شأنه. وكان ملكا مهيبا شجاعا عالي الهمة محبا للعلم كثير البذل، كان مولده سنة 398 هـ. ومات في شعبان سنة 454 هـ، وكان موته بالمهدية. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (دار الحديث، القاهرة: مصر، لا: ط، 1427هـ/2006م) 13/ 351.

2 ينظر التهذيب في اختصار المدونة، البراذعي، تحقيق: محمد الأمين (دار البحوث، دبي: الإمارات العربية، طبعة: أولى، 1423هـ/2002م) ص 10، 11، تقديم المؤلف.

3 طبقات علماء إفريقية، محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي، أبو العرب (ت: 333هـ)، (دار الكتاب اللبناني، بيروت: لبنان، لا: ط، لا: ت ن) ص 43 بتصرف.

4 ينظر: طبقات علماء إفريقية، ص 251، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض بن موسى (مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، طبعة: أولى، لا: ت ن) 3/ 80.

كتب على مذهب مالك منها كتاب يسمى خير من زنته[1]، مَاتَ فِي سَنَةِ ثَلاثٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ"[2]. وعاش بعد مالك نحواً من خمس سنين[3].

2- البهلول بن راشد:

هو: البهلول بن راشد أبو عمرو من أهل القيروان من أصحاب مالك كان ثقة مجتهدا ورعاً، كان عنده علم كثير، سمع من مالك والثوري والليث بن سعد، سمع منه سحنون ويحيى بن سلام وجماعة، روى عنه القعنبي، نظر إليه مالك فقال: هذا عابد بلده، مولده سنة ثمان وعشرين ومائة وتوفي سنة ثلاث وثمانين ومائة[4].

3- عبد الرحيم بن أشرس:

هو أنصاري من العرب من أهل تونس كنيته أبو مسعود، وسمي العباس، وقالوا: هو مولى الأنصار، وقال: اسمه عبد الرحمن[5]، وهو ثقة فاضل. سمع من مالك بن أنس وابن القاسم، روى عنه عبد الرحمن حديث الموطأ. وكان يكنى بأبي مسعود، قال سحنون: كان علي بن زياد خير أهل أفريقية في الضبط للعلم، وكان ابن أشرس أحفظ على الرواية، وكان شديد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[6].

4- عبد الله بن غانم القاضي:

هو عبد الله بن عمر بن غانم بن شراحيل بن ثوبان بن محمد بن شريح بن شراحيل بن الحنف بن أيمن بن ذي النبط بن فوز بن ذي رعين. كنيته أبو عبد

---

1 ينظر: طبقات الفقهاء، أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، تحقيق: إحسان عباس (دار الرائد العربي، بيروت: لبنان طبعة: أولى، 1970م) ص 152. ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، 3/ 80.

2 طبقات علماء إفريقية، ص 253.

3 ينظر طبقات الفقهاء، الشيرازي، ص 152. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون (دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، لا: ط، لا: ت ن) 2/ 3.

4 ينظر طبقات علماء إفريقية، ص 52. ترتيب المدارك، 3/ 85.

5 ينظر المصادر السابقة.

6 ينظر ترتيب المدارك، 3/ 86، 87.

الرحمن. روى عنه ابن القاسم. كان ثبتاً ثقة فقيهاً عدلاً في قضائه. دخل إلى الحجاز والشام والعراق فسمع من مالك وعليه اعتماده، ومن سفيان الثوري ومن أبي يوسف[1].

ويقال إن مالكاً عرض عليه أن يزوجه ابنته ويقوم عنده، فقال له: إن أخرجتها إلى القيروان تزوجتها، وله سماع من مالك مدون انقطع، ومنه في المجموعة مسائل. وسمع الموطأ، قال ابن غانم: لما دخلت مع البهلول ابن راشد على سفيان الثوري وكان معهم عبد الله بن فروخ، قال: ليقرأ علي أفصحكم لساناً. فإني أسمع اللحنة فيتغير لها قلبي. فقرأت عليه إلى أن فارقته، ما رد علي حرفاً[2].

5 – أبو محمد عبد الله بن فروخ الفارسي فقيه القيروان في وقته:

ولد بالأندلس سنة خمس عشرة ومائة، ثم انتقل إلى أفريقية، فسكن القيروان وأوطنها، قال القاضي: وإن اسمه كان بالأندلس عبدوساً. رحل إلى المشرق فلقي جماعة من العلماء والمحدثين، منهم: والأعمش والثوري ومالك بن أنس، وأبي حنيفة. فسمع منهم وتفقه بهم وناظر زفر بمجلس أبي حنيفة فغلبه، وكان اعتماده في الحديث والفقه على مالك بن أنس. وبصحبته أشتهر، وبه تفقه، لكنه كان يميل إلى النظر والاستدلال، فربما مال إلى قول أهل العراق فيما تبين له منه الصواب. ثم انصرف إلى أفريقية فأقام بالقيروان يعلم الناس العلم فانتفع به خلق، ثم رحل ثانية إلى مصر فمات بها[3]، "توفي بمصر إثر رجوعه من الحج سنة خمس وسبعين ومائة، ودفن بالمقطم"[4].

---

1 ينظر طبقات علماء إفريقية، ص 43.

2 ينظر ترتيب المدارك، 3 / 65 – 67

3 ينظر: ترتيب المدارك، ص 34، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (دار الكتب العلمية، لبنان، طبعة: أولى، 1424 هـ – 2003 م) 91/1.

4 ترتيب المدارك 3/ 112.

6- أسد بن الفرات بن سنان:

مولى بني سليم بن قيس كنيته أبو عبدالله أصله من نيسابور وولد بحران من ديار أبي بكر. اختلف إلى علي بن زياد بتونس فلزمه وتعلم منه وتفقه به ثم رحل إلى المشرق فسمع من مالك موطأه وغيره ثم ذهب إلى العراق فلقي أبا يوسف ومحمد بن الحسن وأسد بن عمرو. أخذ عنه أبو يوسف موطأ مالك، وتفقه أسد أيضاً بأصحاب أبي حنيفة، وكان يقول: أنا أسد وهو خير الوحش وأبي الفرات وهو خير المياه وجدي سنان وهو خير السلاح، وكانت وفاة أسد في حصار سرقوسة من غزوة صقلية وهو أمير الجيش وقاضيه: سنة ثلاث عشرة ومائتين وقبره ومسجده بصقلية[1].

ثانيا: طبقة تلاميذ أصحاب مالك والمتأخرين عنهم:

1- عبد السلام أبو سعيد: سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي:

أصله شامي من حمص وقدم أبوه سعيد في جند حمص قال محمد ابنه: قلت له: أنحن من تنوخ؟ فقال لي: وما تحتاج إلى ذلك فلم أزل به حتى قال لي: نعم وما يغني عنك ذلك من الله شيئاً إن لم تتقه، وسحنون: لقب له واسمه: عبد السلام وسمي سحنون باسم طائر حديد: لحدته في المسائل.

ذكر طلبه ورحلته: أخذ سحنون العلم بالقيروان من مشايخها: بهلول وعلي بن زياد وابن غانم وابن أشرس، رحل في طلب العلم في حياة مالك وهو بن ثمانية عشر عاماً أو تسعة عشر وكانت رحلته إلى بن زياد بتونس وقت رحلة ابن بكير إلى مالك[2]. قال سحنون: كنت عند ابن القاسم وجواباته ترد عليه فقيل له: فما منعك من السماع منه؟ قال: قلة الدارهم. سمع من ابن القاسم وابن وهب وأشهب وسفيان بن عيينة ووكيع

1 طبقات علماء إفريقية، ص 82.

2 ينظر: ترتيب المدارك، 4/ 45، 46، شجرة النور الزكية، 1/ 104، 105.

وعبدالرحمن بن مهدي وحفص بن غياث وأبي داود الطيالسي وابن نافع الصائغ وابن الماجشون ومطرف وغيرهم. وانصرف إلى إفريقية سنة إحدى وتسعين ومائة[1]. قال سحنون: إني حفظت هذه الكتب حتى صارت في صدري كأم القرآن. قال ابن حارث: قدم سحنون بمذهب مالك واجتمع له مع ذلك فضل الدين والعقل والورع والعفاف فبارك الله فيه للمسلمين فمالت إليه الوجوه وأحبته القلوب فكان أصحابه سرج أهل القيروان وأنبه علمائها وأكثرهم تأليفاً، فابن عبدوس فقيهها وابن غافق عاقلها، وابن عمر حافظها، وجبلة زاهدها، وحمديس أصلبهم في السنة وأعداهم للبدعة، وسعيد بن الحداد لسانها وفصيحها، وابن مسكين أرواهم للكتب والحديث وأشدهم وقاراً وتصاوناً. كل هذه الصفات مقصورة على وقتهم[2].

قال بن عجلان الأندلسي: ما بورك لأحد بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بورك لسحنون في أصحابه إنهم كانوا بكل بلد أئمة. وكان سنه يوم مات ثمانين سنة ومولده سنة ستين ومائة، ولما مات سحنون رجت القيروان لموته وحزن الناس، قال بن حارث: أقام سؤدد العلم في دار سحنون نحو مائة عام وثلاثين عاماً من ابتداء طلب سحنون وأخيه إلى موت ابن ابنه: محمد بن محمد بن سحنون[3].

2- خلف بن أبي القاسم أبو القاسم الأزدي المعروف بالبراذعي:

يكنى بأبي سعيد من كبار أصحاب أبي محمد بن أبي زيد وأبي الحسن القابسي: من حفاظ المذهب من تآليفه: كتاب التمهيد لمسائل المدونة على صفة اختصار أبي محمد وزياداته، وكتاب الشرح والتمامات لمسائل المدونة أدخل فيه كلام شيوخها المتأخرين على المسائل وله كتاب اختصار الواضحة[4].

---

1 ينظر طبقات علماء إفريقية، ص 102.

2 ينظر الديباج المذهب، ابن فرحون، 2/ 33.

3 ينظر ترتيب المدارك، 80/4 – 85.

4 ينظر المصدر السابق 6/ 210 – 214.

3- محمد بن سحنون:

تفقه بأبيه وسمع من بن أبي حسان وموسى بن معاوية وعبد العزيز بن يحيى المدني وغيرهم ورحل إلى المشرق فلقي بالمدينة أبا مصعب الزهري وابن كاسب وسمع من سلمة بن شبيب. كان إماماً في الفقه ثقة عالماً بالذب عن مذاهب أهل المدينة عالماً بالآثار صحيح الكتاب لم يكن في عصره أحذق بفنون العلم منه وكان الغالب عليه الفقه والمناظرة وكان يحسن الحجة والذب عن أهل السنة والمذهب. وكان يناظر أباه. وقال سحنون: ما أشبهه إلا بأشهب. وقال: ما غبنت في ابني محمد إلا أني أخاف أن يكون عمره قصيراً.

تآليفه: ألف بن سحنون كتابه الكبير المشهور: الجامع جمع فيه فنون العلم والفقه فيه عدة كتب نحو الستين، وكتاب السير: عشرون كتاباً، وكتابه في المعلمين ورسالته في السنة وكتاب في تحريم المسكر ورسالة فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم وكتاب الحجة على وكتاب الإيمان والرد على أهل الشرك وكتاب الرد على أهل البدع ثلاثة كتب وكتاب في الرد على الشافعي وعلى أهل العراق وهو كتاب الجوابات خمسة كتب وكتاب التاريخ ستة أجزاء. توفي بالساحل سنة ست وخمسين ومائتين. بعد موت أبيه بست عشر سنة وجيء به من الساحل إلى القيروان فدفن بها وسنه أربع وخمسون سنة. ومولده سنة اثنتين ومائتين وقيل: على رأس المائتين[1].

4- ابن أبي زيد:

هو: أبو محمد، عبدالله بن أبي زيد، القيرواني المالكي، ويقال له: مالك الصغير. برز في العلم والعمل، قال القاضي عياض: حاز رئاسة الدين والدنيا، ورحل إليه من الأقطار، ونجب أصحابه، وكثر الآخذون عنه، وهو الذي لخص المذهب، وملأ البلاد من تآليفه، تفقه بفقهاء القيروان، وعول على أبي بكر بن اللباد. وأخذ عن: محمد بن مسرور الحجام، والعسال، وحج فسمع من أبي سعيد بن الأعرابي، ومحمد

1 ينظر ترتيب المدارك، 4/ 204 – 219.

بن الفتح، والحسن بن نصر السوسي، ودراس بن إسماعيل، سمع منه خلق كثير، منهم: عبدالرحيم بن العجوز السبتي، وعبد الله بن غالب السبتي، وعبد الله بن الوليد بن سعد الأنصاري، وأبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الخولاني.

صنف كتبا كثيرة، منها: النوادر والزيادات، واختصر المدونة وعلى هذين الكتابين المعول في الفتيا بالمغرب، وصنف كتاب العتبية على الأبواب، وكتاب الرسالة.

قال أبو إسحاق الحبال: مات ابن أبي زيد لنصف شعبان سنة تسع وثمانين وثلاث مائة، وكذا أرخه أبو القاسم بن مندة، وأرخ موته القاضي عياض وغيره في سنة ست وثمانين وثلاث مائة[1].

5- محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي يكنى أبا عبدالله

هو الإمام العلامة المقرئ الفروعي الأصولي، روى ابن عرفة عن المحدث أبي عبدالله: محمد بن جابر الوادي آشي الصحيحين سماعاً وأجازه، وروى عن القاضي أبي عبدالله بن عبدالسلام وسمع عليه موطأ مالك وعلوم الحديث لابن صلاح، ومحمد بن حسين بن سلمة الأنصاري وقرأ عليه القرآن بقراءة الأئمة الثمانية. ومحمد بن عبدالسلام وأبي عبدالله محمد بن هارون محمد بن حسن الزبيدي وأبي عبدالله الآبلي ونظرائهم، وتفرد بشيخوخة العلم والفتوى في المذهب، له التصانيف العزيزة، منها: المختصر الكبير، والمختصر الشامل، والمبسوط في الفقه في سبع مجلدات قال فيه السخاوي: شديد الغموض، وكتاب الحدود في التعاريف الفقهية[2].

المبحث الثاني: أبرز مصنفات الفقه بمدرسة القيروان

أولاً: المدونة:

أصل المدونة سماع قاضي القيروان أسد بن الفرات عن عبدالرحمن بن القاسم وهما معا من أصحاب مالك، وهو أول من رواها عنه وسأله عنها على أسئلة

1 ينظر سير أعلام النبلاء، 12/ 490، 491.

2 الديباج المذهب، ابن فرحون، 2/ 231 – 233.

أهل العراق وأجابه ابن القاسم بنص قول مالك مما سمع منه أو أبلغه أو قاسه على قوله وأصله، فحملت عنه بالقيروان وكانت تسمى الأسدية وكتاب أسد ومسائل ابن القاسم، وكتبها عنه سحنون فرحل سحنون بالأسدية إلى ابن القاسم فسمعها منه وأصلح فيها أشياء كثيرة رجع ابن القاسم عنها، وجاء بها إلى القيروان وهي في التأليف على ما كان عليه كتاب أسد مختلطة الأبواب غير مرتبة المسائل ولا مرسومة التراجم، وكتب ابن القاسم إلى أسد أن يعرض كتابه عليها ويصلحه منها فأنف من ذلك، فيقال: إن ابن القاسم دعا أن لا يبارك فيها فهي مرفوضة إلى اليوم، ثم إن سحنونا نظر فيها نظرا آخر وبوبها وطرح منها مسائل وأضاف الشكل إلى شكله وهذبها ورتبها ترتيب التصانيف واحتج لمسائلها بالآثار من روايته من موطأ ابن وهب وغيره، وألحق فيها من خلاف كبار أصحاب مالك ما اختاره فعل ذلك بكتب منها وبقيت منها كتب على حالها مختلطة مات قبل أن ينظر فيها فلأجل ذلك تسمى المدونة والمختلطة وهي التي تسمى بالأم[1].

قال أسد بن الفرات: عليكم بالمدونة فإنها كلام رجل صالح وروايته أفرع الرجال فيها عقولهم وشرحوها وبينوها وكان يقول: ما اعتكف رجل على المدونة ودراستها إلا عرف ذلك في ورعه وزهده وما عداها أحد إلى غيرها إلا عرف ذلك فيه، وكان يقول: إنما المدونة من العلم بمنزلة أم القرآن من القرآن تجزئ في الصلاة عن غيرها ولا يجزئ غيرها عنها[2]. نقل أبو الحسن عن ابن يونس قال: "يروى ما بعد كتاب الله أصح من موطأ مالك وبعده مدونة سحنون ... وذلك أنه تداولها أفكار أربعة من المجتهدين: مالك وابن القاسم وأسد وسحنون"[3].

مختصرات المدونة: اختصرها كل من ابن أبي زيد وأبو سعيد البراذعي، وابن عرفة

---

1 ينظر مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، شمس الدين أبو عبد الله محمد الطرابلسي المغربي، الحطاب (دار الفكر، بيروت: لبنان، ط: 3، 1412هـ/1992م) 33/1، 34.

2 ينظر ترتيب المدارك، 3/ 300.

3 مواهب الجليل، الحطاب، 1/ 34.

– **مختصر المدونة لابن أبي زيد القيرواني:** إن هذا الكتاب يشير بجلاء إلى عناية ابن أبي زيد بالاستدلال فلا يذكر مسألة إلا ذكر لها شاهدا من كتاب أو سنة أو إجماع أو غير ذلك من الأدلة إلا أنه لا يسند أحاديثه كما أنه لا يحكم عليها بالصحة أو الضعف، يذكر المؤرخون أن مختصر ابن أبي زيد اشتمل على أربعة عشر مسألة؛ لأن المدونة يبلغ عدد مسائلها ستة وثلاثين ألف مسألة[1].

– **كتاب التهذيب في اختصار المدونة:** اتبع فيه طريقة اختصار أبي محمد إلا أنه ساقه على نسق المدونة وحذف ما زاده أبو محمد، قال القاضي عياض: "وقد ظهرت بركة هذا الكتاب على طلبة الفقه وسمعوا بدراسته وحفظه وعليه معول الناس بالمغرب والأندلس"[2]، قال البراذعي في مقدمة كتابه التهذيب: هذا كتاب قصدت فيه إلى تهذيب مسائل المدونة والمختلطة ... اعتمدت فيه على الإيجاز والاختصار دون البسط والانتشار؛ ليكون أدعى لنشاط الدارس وأسرع لفهمه وعدة لتذكرته، وجعلت مسائلها على الولاء حسب ما هي في الأمهات إلا شيئا يسيرا ربما قدمته أو أخرته، واستقصيت مسائل كل كتاب فيه، خلا ما تكرر من مسائله أو ذكر منها في غيره فإني تركته.. كراهية التطويل"[3].

– **المختصر الفقهي لابن عرفة:** قال ابن عرفة: هذا مختصر في الفقه المالكي قصدت فيه جمع ما يحصل بهدي الله تحصيله ذكر مسائل المذهب نصًا وقياسًا، معزوة أقواله لقائلها أو ناقلها إن جهل، فلا إجمال ولا التباسًا، وتعريف ماهيات الحقائق الفقهية الكلية، ... والاعتماد على متواتر قوله: «إنما الأعمال بالنيات» آجلًا، مستشهدًا بقول

1 ينظر المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته، ص 256.

2 ترتيب المدارك، 7/ 257.

3 التهذيب في اختصار المدونة، البراذعي، المقدمة.

المدونة على من على غيرها اعتمد، أو غير سبيلها اقتصد، وذاكره لذاته مقررًا، أو لحاجته لتفسير أو تقييد محررًا، سالكًا، في ذلك وسط الإيجاز والاختصار، حرصًا على سرعة الفهم والاستبصار، مستعينًا بالله وعليه متوكلًا، وإياه أسأل أن يجعله لكل خير محصلًا، ولكل فضل متممًا ومكملًا[1].

ثانياً: النوادر والزيادات:

منهجه من حيث الترتيب: ابتدأ ابن أبي زيد نوادره بمقدمة أكد فيها على أهمية الاجتهاد، ثم الأسباب التي دعته إلى جمع الكتاب، معدِّدا مصادره التي اعتمد عليها، مع ذكر سنده فيها ثم بدأ مسائل كتابه بأحكام الطهارة فالصلاة فالصوم ...[2]

منهجه من حيث الاستدلال: فقد كان منهجه بالاستدلال في كتابه، وطريقته أنه يبدأ المبحث بآية أو حديث يكون أساسا لما يذكر من مسائل بعد ذلك، كما أنه قد يذكر الأدلة أحيانا في ثنايا المسائل.

منهجه من حيث الاستيعاب: لقد تناول ابن أبي زيد في كتابه هذا الكثير من المسائل الفقهية التي تضمنتها دواوين المذهب المشهورة كالعتبية والموازية والواضحة وكتب ابن سحنون وغيرها من المصادر المهمة المتقدمة على عصره والتي فقد كثير منها[3].

أهميته بين كتب المذهب: يعد هذا الكتاب من أهم كتب المالكية التي اعتنت بجميع الروايات عن مالك وأصحابه وأتباعهم مع المقارنة بينها والترجيح وتخريج المسائل التي جدت بعدهم على أصولها، يقول ابن عاشور: أما كتاب النوادر والزيادات فلم

---

1 ينظر المختصر الفقهي، محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، تحقيق: حافظ عبد الرحمن محمد خير (مؤسسة خلف أحمد الخبتور، طبعة: أولى، 1435هـ/2014م) 1/ 62.

2 ينظر النَّوادر والزِّيادات على مَا في المدَوَّنة من غيرها من الأُمهاتِ، ابن أبي زيد القيرواني، المالكي (ت: 386هـ)، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، طبعة: أولى، 1999 م) المقدمة.

3 ينظر المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته، ص 258.

يزل على قلة نسخه الخطية من أعظم الكتب الفقهية وأعونها على تكوين الملكة الفقهية الحق، والتخريج على حسن الفهم ودقة التنزيل، وبراعة التعليل، فقد جمع فيه صور الحوادث التي لم تنص أحكامها في المدونة، واهتم بأكثر الصور التي تعرض في عصره في القيروان فبين أحكامها بحسب تنزيل النقول وتحقيق مناطها أو بالجواب عنها مما يتخرج من الأصول أو النقول على سنة الاجتهاد[1].

ثالثاً: الرسالة:

منهجه من حيث الترتيب: لقد ابتدأ ابن أبي زيد كتابه هذا بمقدمة في عقيدة السلف ثم أردفها بتفصيل الأحكام الفقهية بادئا بالعبادات مرتبا لها كما يلي: الطهارة – الصلاة – الصيام – الزكاة ...[2]

منهجه من حيث الاستدلال: لا يعتني رحمه الله بالاستدلال في كتابه لأن الهدف منه وضع مختصر في الفقه والاستدلال يحتاج إلى تطويل، وإن كان يشير أحيانا إلى أدلة بعض المسائل[3].

منهجه من حيث الاستيعاب: تناول ابن أبي زيد في كتابه ما درج الفقهاء على تناوله في كتبهم من أبواب ومسائل وزاد على ذلك مسائل في العقائد والآداب والسلوك لأن هذه الرسالة القصد منها أن تكون وسيلة لتنشئة أبناء المسلمين على السلوك الصحيح اعتقادا وعملا وقد أوصل بعضهم ما تضمنته من مسائل إلى أربعة آلاف مسألة[4].

---

1 ينظر المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته، ص 258، نقلا عن كتاب أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي، ص 48.

2 ينظر رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

3 ينظر المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته، ص 253، 254.

4 ينظر شرح متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، قاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي القيرواني (دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، طبعة: أولى، 1428 هـ/2007م) 16/1، 17.

قال عنها العلامة أبو العباس القلشاني المالكي: "اشتهرت اشتهار النهار، وشاعت في جميع الأقطار، وتلقاها الناس بالقبول في سائر الأعصار، وظهرت بركتها ويمنها على ما اشتغل بها من الكبار والصغار، ولهذا يقال: إن من حفظها واعتنى بها وهبه الله تعالى ثلاثا أو واحدة من ثلاث: العلم والصلاح والمال الطيب"[1].

أهم شروحها:

1- شرح الرسالة، أبو محمد عبدالوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي (المتوفى: 422 هـ).

2- شرح ابن ناجي التنوخي على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، قاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي القيرواني (المتوفى: 837هـ).

3- شرح زروق على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، المعروف بزروق (المتوفى: 899هـ).

4- الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي المالكي (المتوفى: 1126هـ).

5- الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، صالح بن عبدالسميع الآبي الأزهري (المتوفى: 1335هـ).

رابعاً: خير من زنته: كان علي بن زياد أول من كتب مسائل الفقه والفتاوى التي تكلم بها مالك بن أنس فأقبل علي بن زياد على تصنيف المسائل وتبويبها وخرجها كتبا كتبا على مواضيع الأحكام الفقهية وسمى جملة الكتاب (خير من زنته)[2].

---

1 إيضاح المعاني على رسالة القيرواني، أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي (دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة: مصر، لا: ط، لا: ت ن) ص 3، 4.

2 ينظر اصطلاح المذهب عند المالكية، محمد إبراهيم علي (دار البحوث للدراسات الإسلامية، الإمارات العربية، دبي، طبعة أولى، 1421 هـ-2000 م) ص 97.

خاتمة:

هذه خاتمة يذكر فيها الباحث ما توصل إليه من نتائج في دراسته لمسائل هذا البحث وهي:

1- موقع القيروان العلمي والجغرافي ساعد في ازدهار هذه المدرسة فهذه المدينة ممر عبور بين المشرق والمغرب يقصدها الكثير من عابري السبيل للتزود من العلم.

2- هناك بعض العراقيل السياسية التي واجهت مدرسة القيروان التي تمثلت في تمكن دولة الأغالبة والعبيديين من الحكم في البلاد فقامت بطمس معالم الفقه المالكي بإيذاء علمائه وقتلهم وحرق للمصنفات إلى أن جاء المعز بن باديس سنة (407 هـ) فحمل الناس من جديد على المذهب المالكي.

3- مدرسة القيروان كانت سببا في نشر المذهب المالكي في إفريقيا وفي بلاد الأندلس.

ثبت المصادر والمراجع

1- اصطلاح المذهب عند المالكية، محمد إبراهيم علي (دار البحوث للدراسات الإسلامية، الإمارات العربية، دبي، طبعة أولى، 1421 هـ-2000 م).

2- إيضاح المعاني على رسالة القيرواني، أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي (دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة: مصر، لا: ط، لا: ت ن).

3- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض بن موسى (مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، طبعة: أولى، لا: ت ن).

4- التهذيب في اختصار المدونة، البراذعي، تحقيق: محمد الأمين (دار البحوث، دبي: الإمارات العربية، طبعة: أولى، 1423هـ/ 2002م).

5- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون (دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، لا: ط، لا: ت ن).

6- سير أعلام النبلاء، الذهبي (دار الحديث، القاهرة: مصر، لا: ط، 1427هـ/ 2006م).

7- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (دار الكتب العلمية، لبنان، طبعة: أولى، 1424هـ - 2003م).

8- شرح التلقين، أبو عبد الله محمد التَّمِيمي المازري (ت:536هـ)، تحقيق: محمَّد المختار السّلامي (دار الغرب الإسلامي، طبعة: أولى، 2008م).

9- شرح متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، قاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي القيرواني (دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، طبعة: أولى، 1428 هـ/ 2007م).

10- طبقات الفقهاء، أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، تحقيق: إحسان عباس (دار الرائد العربي، بيروت: لبنان طبعة: أولى، 1970م).

11- طبقات علماء إفريقية، محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي، أبو العرب (ت: 333هـ)، (دار الكتاب اللبناني، بيروت: لبنان، لا: ط، لا: ت ن).

12- المختصر الفقهي، محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، تحقيق: حافظ عبدالرحمن محمد خير (مؤسسة خلف أحمد الخبتور، طبعة: أولى، 1435هـ/ 2014م).

13- المذهب المالكي مدارسه ومؤلفاته، محمد المختار محمد المامي (مركز زايد للتراث، العين: الإمارات العربية، ط: أولى، 1422هـ/ 2002م).

14- معلمة الفقه المالكي، عبد العزيز بن عبدالله (دار الغرب الإسلامي، بيروت: لبنان، طبعة: أولى، 1403 هـ - 1983 م).

15- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، شمس الدين أبو عبدالله محمد الطرابلسي المغربي، الحطاب (دار الفكر، بيروت: لبنان، ط: 3، 1412هـ/ 1992م).

16- النَّوادر والزِّيادات على مَا في المدَوَّنة من غيرها من الأُمهاتِ، ابن أبي زيد القيرواني، المالكي (ت: 386هـ)، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، طبعة: أولى، 1999م).